# مجموعات المخطوطات والمطبوعات العربية
# في هولندا

الأستـاذ يان يوست فيتكام*

توقع علماء الحركة الإنسانية في مطلع القرن السادس عشر في أوروبا بأجمعها ، الكثير من دراسة العربية حيث وصل الإنسان في ذلك العصر وخلال جيل واحد إلى درجة كبيرة من التقدم في مجالي العلم والتقنية . ولم يخبْ الأمل في أن دراسة النصوص التي كان العرب قد قاموا بترجمتها منذ القرن التاسع مباشرة بالعربية ، قد حسّنت التوجه إلى التراث الثقافي اليوناني . وقد تضمنت هذه الترجمات العديد من الأعمال اللغوية والفلسفية والعلمية الكلاسيكية . فأصبحت الدراسة الآن مباشرة وليس عن طريق الترجمات اللاتينية التي كانت متوفرة منذ وقت قصير وحتى بشكل مطبوع . كذلك لم تخبْ التوقعات من أنه سوف توجد النصوص القديمة التي كان قد ضاع نصّها اليوناني الأصلي ولكن هذه النصوص اليونانية كانت معروفة لدى المترجمين العرب في بغداد سبعة قرون قبل ذلك العصر . كما وأنه كان من المعروف أن العرب قد أسهموا وبزخم في العديد من المجالات مضيفين بذلك على معرفة اليونانيين .

وفي مقدمة كتاب النحو العربي ( باريس ، ١٥٣٨ ) والذي كتب باللاتينية يعبّر مؤلف هذا الكتاب غيلوم بُستل ، عن إيمانه واعترافه بأن الأوروبيين مدينون للعرب في هذا التقدم .

« ندين لهم ــ أعني للعرب ــ بعلم النجوم وبالتطبيق العملي للطب ( ... ) ولديّ الشجاعة أن أقسم بأنه لا وجود لعالم أو متخصص بشكل عملي في عصرنا هذا ، إلا وأنه مشغول بالمؤلفات العربية وذلك بعد أن امتص النظرية نفسها من جالينوس وذلك بشكل ممتاز . وإلا فمن يجسر على عدم الاعتراف بأن القرون مشبعة بالتقدم ؟ ( ... ) ولكننا ولحُسن حظنا ندين في كثير من الأمور التي نطبقها في هذا القرن للعرب وليس لجالينوس ؟ » . كما وأن بُستل كان قد تذمّر مِن أن الترجمات اللاتينية التي كانت سائدة في كل مكان قُبيل كتابته هذه بعشرين سنة فقط ، هذه الترجمات ، قد شُوّهت . وأضاف قائلاً : « وعلى أية حال فقد أصبحت لغته ــ أعني جالينوس ــ معروفة الآن ، وأنه ( أعني جالينوس ) أصبح بالإمكان الحصول عليه باللغة اللاتينية من قبل علماء اللاتينية ، ولكن معتمدة على ترجمات عربية نقية . وقد جعل كل واحد في هذه الفترة يتحمس لجالينوس ويقف في صفه ( ... ) وإلا ، فماذا يكون رأيك عندما تعرف أن ما كان قد عالجه جالينوس بأسلوبه الباروكي ، وبالكاد في خمسة أو ستة كتب ضخمة ، كان قد عالجه ابن سينا ، على أكثر تقدير في صفحة أو صفحتين ؟ » .

ولم يكن العالم في القرن السادس عشر جمهورية أدبية هادئة كما لم يكن كذلك في القرون السابقة ولن يكون في القرون اللاحقة ، حتى يكون حل النزاع على مستوى مجرد . وعندما يريد بُستل التركيز على التواجد الواسع للإسلام وبالتالي على أهمية اللغة العربية فإنه يريد بذلك التأكيد على أهمية كتابه في النحو ، ولهذا جاء تركيزه على أن الأوائل من الذين التقاهم ماخيلهاس في جزر الملوقيين بعد اجتيازه جنوب أمريكا في رحلته بالسفينة حول العالم ، كانوا من تابعي ( تعاليم محمد ) . وهكذا وفي جملة واحدة أوضح بأي شيء ووجه العالم المسيحي : إنه من المستحيل إهمال التواجد الإسلامي الهائل . وفي عصر بُستل كان الإسلام

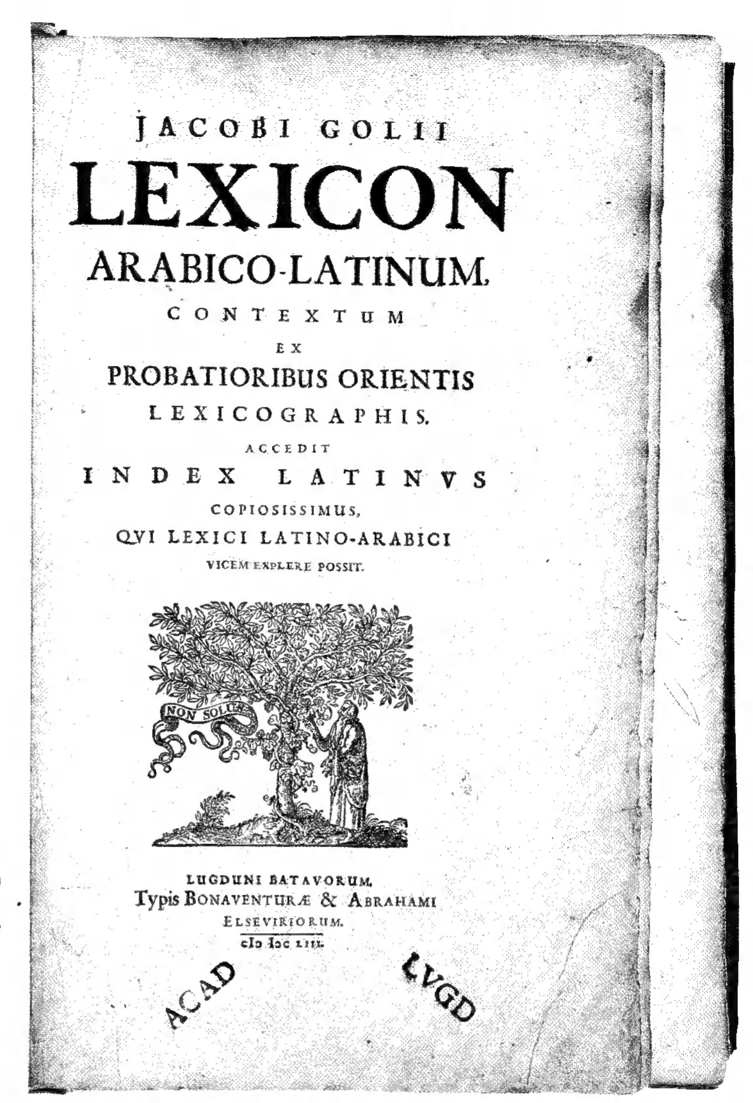
---

* الأستاذ يان يوست فيتكام ، رئيس إدارة الكتب الشرقية في مكتبة ليدن الجامعية .

ما يزال ينتشر في عقر الدار . أي في أوروبا وكذلك على البُعد ، أي في أفريقيا وآسيا . فقُبيل فترة وجيزة وذلك سنة ( ١٦٨٣ ) قام الأتراك العثمانيون بتهديد فينا ، أي تقريباً بعد مضي ألف سنة على معركة بواتيه والتي تمّ فيها حسم تقدم العرب القادمين من إسبانيا . ولقد تحددت أفكار أوروبا عن العرب والمسلمين بشكل جزئي ، وذلك نتيجة ما حدث خلال ألف سنة . هذه الأحداث التي يمكن الاشارة إليها على أنها تحول في مسار التاريخ : استعادة شبه جزيرة ايبريا من المورين ، الحملات الصليبية ، والتهديد العثماني الذي بلغ أوجه بسقوط القسطنطينية .

وعلى الرغم من كل هذا فقد كان في أوروبا عنصر اعجاب وتقدير لما قدّمه العرب . ويتحدث العالم الفرنسي بُستل السابق ذكره عن الإنجازات في المجال العلمي . كما وكان هناك ادراك في القرون الوسطى الأوروبية لمدى السبق الذي أحرزه العرب في مجالي الطب والصيدلة ، الأمر الذي لا يدع مجالاً للإنكار . وحاز الأدب العربي في القرن السابع عشر على تقدير زائد كما للشعر كذلك للنثر . فها هو الأستاذ الليدني توماس أربينيوس ( ١٥٨٤ ــ ١٦٢٤ ) يقول في إحدى خطبه الأكاديمية : « نجد في كتاباتهم ــ أي العرب ــ من الأناقة وعمق الكشف الممزوجة بالمعرفة ، ومن العناية الانشائية وحلاوة الإنسجام والإيقاع ، ما يجعل كل من يقرأ كتبهم أو يسمعها يُصاب بسحرها » . ومن الواضح أنه من أجل دراسة جميع الأعمال كان من الواجب توفر نسخ منها في المكتبات . ولقد ذكر أربينيوس في خطبته وجود مجموعات ضخمة من الكتب لم يسمع بها في الشرق الأوسط مسمِّياً القسطنطينية وفاس . ولقد تميز القرن الأول من الاهتمام الهولندي بالعربية بثلاثة من المشاهير : ي. ي. سكاليخر ( ١٥٤٠ ــ ١٦٠٩ ) ، وتوماس أربينيوس الذي سبق ذكره ، وجاكوبوس خوليوس ( ١٥٩٦ ــ ١٦٦٧ ) . وقد قام كل منهم وعلى طريقته الخاصة باحضار الكتب العربية إلى هولندا ( والمقصود في هذه الفترة هو المخطوطات العربية لأنّ فنّ طباعة الكتب لم يُعرف في الشرق الأوسط إلّا في أوائل القرن الثامن عشر فقط ) . وقد وصلت كتب سكاليخر التي تضم ما يُقارب خمسين مخطوطة شرق ــ أوسطية ، بالإضافة إلى عدد أكبر من الكتب المطبوعة والتي لها علاقة بالعربية ، وصلت كلها مكتبة ليدن الجامعية . وقد احتوت على مواد عربية من بينها **المعجم اللاتيني ــ العربي** ، والذي عُرف عنه أنه وُضع في طليطلة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر . واحتوت مجموعته على جزأين من القرآن مكتوبين على جلد الغزال ويرجع أصلهما إلى المغرب .

وكذلك تاريخ السامرة الذي وضع بالعربية ولكن بحروف سامرية . وبالإضافة إلى المخطوطات التي جمعها بنفسه فقد حوفظ على الملاحظات العلمية التي قام سكاليخر بتدوينها بنفسه . كما ووصل قاموسين قام سكاليخر بوضعهما بأكملهما بنفسه وبخط يده لأنه كان على علماء القرن السادس والسابع عشر أن يقوموا بتزويد أنفسهم بالوسائل والأدوات التي تساعدهم في أعمالهم العلمية . ولم تصبح هذه الحاجة أقل الحاحاً إلا بظهور كتاب القواعد لأربينيوس والذي سوف يُعاد طبعه على مدى قرنين من الزمان ، وكذلك بظهور قاموس خوليوس الذي قدم خدماته خلال ما يقارب القرن والنصف . وبصعوبة يمكن فهم هذه الحالة التي كانت سائدة قبل القرن العشرين والذي تتوفر فيه أمام دارس العربية بالإضافة إلى قاموس فير وبيلو ، العديد من كتب النحو والكتب الدراسية . ولقد أورث أربينيوس كذلك مجموعة مخطوطات لمؤلفين عرب ، ولكن أرملته فضّلت الجهة الإنجليزية المعنيّة بالرغم من الخيار الذي وضعته أمامها مكتبة ليدن . وفي نهاية الأمر وصل القسم الأكبر من هذه المخطوطات سالمة إلى مكتبة كامبريدج الجامعية . لقد جمع خوليوس ما يُقارب السبعمائة كتاب منسوخة باليد لمؤلفين من العرب والفرس والترك . وقبل أن يباشر أستاذيته كانت ادارة جامعة ليدن


JACOBI GOLII

LEXICON

ARABICO-LATINUM,

CONTEXTUM

EX

PROBATIORIBUS ORIENTIS

LEXICOGRAPHIS.

ACCEDIT

INDEX LATINVS

COPIOSISSIMUS,

QVI LEXICI LATINO-ARABICI

VICEM EXPLERE POSSIT.



LUGDUNI BATAVORUM,

Typis BONAVENTURÆ & ABRAHAMI

ELSEVIRIORUM.

cIↃ IↃC LIII.



٩ ـــ عنوان صفحة من **المعجم العربي ـــ اللاتيني** لِخول ( ليدن ، ١٦٥٣ ) . حل هذا العمل محل جميع القواميس التي سبقته وبقي مستعملاً حتى القرن التاسع عشر . مكتبة ليدن الجامعية .

قد سمحت له بالسفر ولمدة طويلة إلى كل من حلب والقسطنطينية حيث قام بشراء معظم مخطوطاته . أما ما لم يستطع شراءه فقد طلب نسخه بأكمله وذلك كما هو متعارف عليه محليّاً . وبما أن شراء الكتب كان يتمّ من أموال الجامعة فإن ما يُقارب ثلث مجموعته كان قد وضعه في مكتبة ليدن خلال حياته أما الباقي فقد بيع بالمزاد العلني بعد وفاته . وقد انتهى المطاف بالقسم الأكبر من مجموعته إلى مكتبة بُدليان في أوكسفورد حيث لم يزل بالإمكان دراسة مخطوطاته . ولم يتبق في هولندا غير القليل الذي وصل أخيراً إلى مكتبة ليدن . أما المجموعة المتبقية في ليدن فتحتوي من بين ما تحتويه على دائرة المعارف العربية ـــ **نهاية الأرب** والذي وضعها مؤلف القرن الرابع عشر ، النويري والتي بعض أجزائها بخط يد المؤلف . كما وتضم مجموعة



١٠ ــ عنوان من صفحة من الجزء الأول ( مجموعة من جـزئين ) مـن **الصّحاح في اللغة** للجوهري . وقد تم استنساخه في دمشق عام ( ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م ) . كانت هذه النسخة ملكاً لِخـــول وكانت المصدر الأكثر تكراراً في معجمه الذي نشره سنـة (١٦٥٣) . مجموعة خوليوس ، مكتبـة ليدن الجامعية .

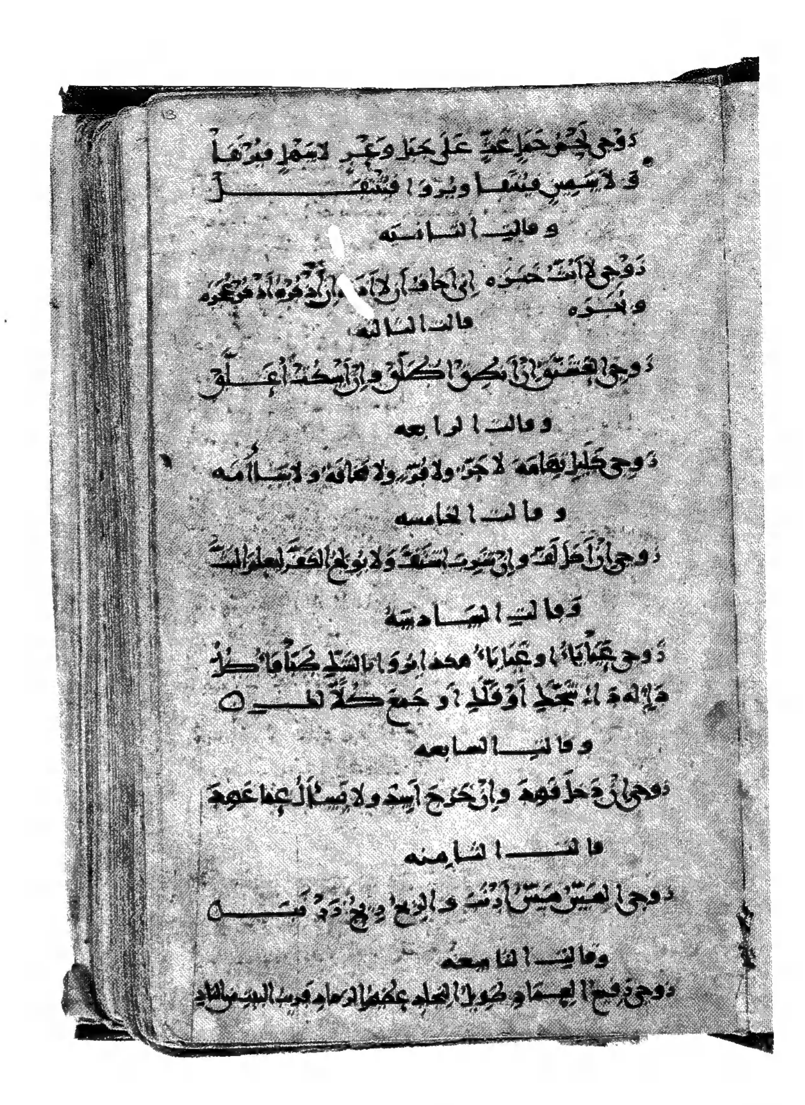
خوليوس نسخة من كتاب ابن الجزري المشهور في الحيل الهندسية . وتمثل مجموعته الخاصة والمحفوظة في أوكسفورد الآن ، اللبنة الأولى لنوع من دائرة المعارف الإسلامية أو كما أطلق عليها خوليوس اسم « قرن الشرق الغزير » .

وبالإضافة إلى منصب خوليوس كأستاذ الدراسات العربية فقد شغل أيضاً منصب أستاذ الرياضيات . وكانت اهتماماته أوسع بكثير . ففي أوكسفورد ما زال هناك قاموس تركي ــ لاتيني بخط يده ، لم يُنشر بعد . كما وظهر بعد وفاته بسنوات قاموس فارسي ــ لاتيني . وفي أواخر أيامه أبدى اهتمامه باللغة الصينية . وتضم مجموعة مخطوطاته الخاصة ، نسخة عربية لكتاب المخروطات لمؤلفه أبولونيوس من برجا ، وكان هدف خوليوس هو اعادة تنظيم الفصول المفقودة في النسخة الإغريقية مستعيناً بالنسخة العربية . وفي نهاية الأمر ، لم يتمخض هذا المشروع عن شيء . كما واشترى خوليوس مخطوطة جميلة من القاموس العربي للجوهري ، والذي استعمل نصه بالإضافة إلى نصوص أخرى من أجل **قاموسه اللاتيني ــ العربي** والذي نشره عام ( ١٦٥٣ ) ( اللوحتان ٩ و ١٠ ) والذي حلّ محله **قاموس** فرايتاخ ليس قبل العام ( ١٨٣٠ ) .

١١ — عنوان صفحة من المخطوطة النادرة **طوق الحمامة** لابن حزم وهي رسالة من المورة وتدور حول الحب والعشاق ويعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر . وترجع جميع النسخ المطبوعة في الأدب العربي من هذا العمل العظيم ، بشكل مباشر أو غير مباشر إلى هذه المخطوطة التي كان ليفيوس فارنر قد اشتراها من اسطنبول حوالي (١٦٦٠) . مكتبة ليدن الجامعية .

ورغم أهمية هذه المخطوطات إلا أنه لا يمكن مقارنتها بالمجموعة التي اقتنتها جامعة ليدن سنة ( ١٦٦٥ ) . إنها مجموعة تحتوي على أكثر من ألف مخطوطة بالإضافة إلى العديد من المطبوعات التي قام بجمعها في القسطنطينية السفير الهولندي ليفينوس فارنر ( ١٦١٩ — ١٦٦٥ ) والذي كانت حاسّة شمّه للكتب النادرة متفتحة . وعند مقارنتنا للعدد ألف والذي نراه كثيراً ، بما كان موجوداً من الكتب في مدينة القسطنطينية والتي كانت تنقل إليها أثناء فترة السلاطين العثمانيين كامل مكتبات المناطق التي تمّ اخضاعها فاتسعت مكتبتها العامة والخاصة ، يتبين لنا كم هو قليل هذا العدد خاصة إذا علمنا أن فارنر قد جمع مثل هذا العدد خلال عشر سنوات . ويمكننا أن نفترض أن مقدرته وخبرته ناتجتان عن هذا التحديد .

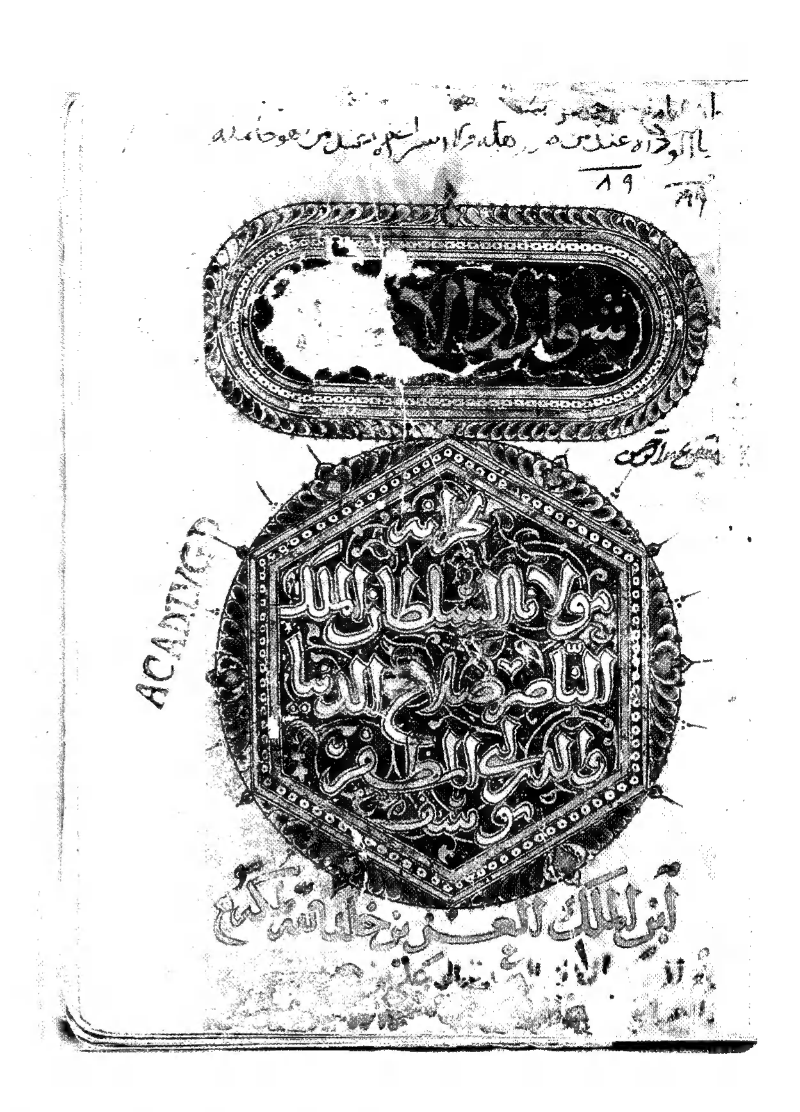
إن مجموعة فارنر هي نواة مجموعة ليدن الشرقية وأساس شهرتها وذلك لاحتوائها على كتب ما زالت فريدة حتى يومنا هذا ، أي عدم توفر نسخة ثانية منها وذلك خلال القرون الثلاثة الماضية .



١٢ — صفحة من كتاب **غريب الحديث** لأبي عبيد القاسم بن سلاّم. ويعود تاريخ هذه المخطوطة إلى سنة (٨٦٦) وهناك احتمال بأنها قد عملت في بغداد. وتعتبر حتى الآن أقدم مخطوطة ورقيّة شرق — أوسطية مؤرخة. مجموعة فارنر. مكتبة ليدن الجامعية.

واحد من قمة كتب الأدب العربي هو **طوق الحمامة**، رسالة في الأُلفة والالاَّف للأديب والعالم الأندلسي ابن حزم ( من أعيان القرن الحادي عشر ) والذي أصبح الآن مشهوراً بفضل شراء فارنر لكتابه. وتعود جميع الطبعات والتي يبلغ عددها الآن العشرة، بشكل مباشر أو غير مباشر إلى هذه المخطوطة الوحيدة ( لوحة ١١ ). كان فارنر تلميذاً لخوليوس لذلك انعكست اهتمامات خوليوس الرياضية في ما اشتراه فارنر. فالمخطوطة الوحيدة المعروفة من الترجمة العربية **لكتاب الأصول** لمؤلفه اقليدس والتي قام ابن مطر بترجمتها، كان فارنر قد قام بشرائها. ويمكننا كذلك اضافة المخطوطة الأنيقة والقديمة جداً والمزينة بالرسوم التوضيحية من الترجمة العربية **لكتاب الحشائش** لديوسقوريدس وكذلك مخطوطة ثانية من كتاب **الحيل الهندسية** لابن الجزري. وواحد من قمة مجموعة فارنر هو مخطوطة **كتاب غريب الحديث** لابن عبيد والتي كتبت على ورق والمؤرخة ب ( ٨٦٦ ) ميلادية والتي ما زالت تقاوم عوامل الزمن والتي يرجّح أن يكون مصدرها بغداد وأن تكون أقدم مخطوطات الشرق الأوسط الورقيّة المؤرخة ( لوحة ١٢ ).

وقد قامت مكتبة جامعة ليدن بوصف كنوزها الشرقية في بعض فهارسها المطبوعة في القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، مما أدّى إلى شهرتها عالمياً، فاحتوى فهرس عام ١٧١٦ على جميع ما كانت



١٣ ــ عنوان صفحة من **شوارد الأمثال**. وهي مجموعة من الأمثال المجهولة المؤلف، من المكتبة الخاصة بصلاح الدين الأيوبي ( ١١٣٧ ــ ١١٩٣ ). مجموعة فارنر، مكتبة ليدن الجامعية.

تملكه المكتبة في ذلك الوقت بما فيه أوصاف جميع المواد الشرقية التي كانت موجودة في ليدن آنذاك.
كان الهولنديون الشماليون جمهورية أدارها رجال التجارة والدين ولم يكن هناك ملك ذو عظمة وذلك على الرغم من وجود تجّار امستردامبين كانوا أغنى من بعض أمراء أوروبا. إن انعدام وجود شخصية ملكية ارستقراطية كانت السبب في أن يكون طابع المجموعة الهولندية منذ القرن السابع عشر مختلفاً عما كانت عليه مثلاً المجموعات في باريس أو اوكسفورد وكامبريدج وأن تتّسم كذلك بسمة الرصانة والرزانة. لذا فإننا لا نجد، لا في مجموعة خوليوس ولا في مجموعة فارنر مخطوطات للقرآن والتي تصلح كأحسن مثال على فن زخرفة الكتب وحُسن الخط كما وافتقرت مجموعات علماء القرن السابع عشر إلى نصوص كانت صالحة جداً لتجارة الكتب النادرة الجميلة مثل كتاب **دلائل الخيرات** للجزولي. كما وأنه لاحقاً تمّ تجميع المخطوطات ليس بسبب أهميتها الأدبية والعلمية وإنما بسبب من قيمتها المتحفية وتاريخها الفني، والتي نادراً ما كانت تصل هولندا مثل هذه، وإن حدث ووصلت فإن هذا يكون محض صدفة.

ومقارنة بميراث فارنر فإنه لم تصل هولندا لا في القرن الثامن عشر ولا في النصف الأول من القرن التاسع عشر مجموعة قيّمة وذلك بالرغم من عدم افتقار الجامعات الهولندية إلى مشاهير مثل: ريلاند في اوتريخت،

السخولتينسيون الثلاثة ، هماكر ، فايرس ، الينابلة الثلاثة ، ودوزي . ولكن ارتبطت اسماء هؤلاء بنشر النصوص والقواميس وفهارس المخطوطات التي ما زال يُعاد طبعها حتى يومنا هذا . ولم يقوموا بالكثير من الاتصالات المباشرة مع الشرق الأوسط ، كما ولم يبدأ التزود بالكتب والمخطوطات بالشكل الذي كان عليه في القرن السابع عشر إلا بعد مرور عصرهم . وقد حاول الأستاذ هماكر الليدني إيجاد قنوات تزويد من الشرق الأوسط ، إلّا أن مزوّديه في القسطنطينية لم يصلّوا إلى نتائج مُرضية ، بينما طلب هو في تونس استنساخ كتاب التاريخ العظيم ــ **كتاب العبر** لابن خلدون ( من أعيان القرن الرابع والخامسَ عشر ) وذلك لقاء مبلغ ضخم . وبالرغم من أنه منذ ميراث فارنر فإنه لم يتم احضار مجموعة كبيرة دفعة واحدة وانما بعد ذلك بقرنين ، فقد وصلت مكتبة ليدن الجامعية كميات كبيرة من المخطوطات العربية والشرق ــ الأوسطية وذلك بشكل تدريجي . وفي ( ١٨٨٣ ) فقط وصلت إلى المكتبة مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية وذلك دفعة واحدة . فقد اشترت الجامعة وبوساطة شركة بريل مجموعة مخطوطات العلّامة وتاجر الكتب العربي أمين المدني . وبذلك انتهى المطاف في جامعة ليدن بحوالي ستمائة وخمس وستين مخطوطة من بينها عدد كبير نسبياً بخط يد المؤلف . وفي ( ١٩٣٦ ) تسلمت المكتبة ميراث سنوك هرخرونيه والذي يضم المئات العديدة من المخطوطات العربية والتي مصدر معظمها أندونيسيا . وبهذا أصبحت ليدن مؤسسة تجذب العلماء والزائرين المهتمين ، القريب منهم والبعيد وذلك من أجل مشاهدة الكنوز العربية .

وقد كانت مخطوطات مجموعة ليدن مصدراً للنصوص التي قام مستعربو القرن التاسع عشر بطباعتها . كما توفرت انذاك امكانية استعارة المخطوطات لمن لم يستطع المجيء إلى ليدن سبيلاً ، ويحدث ذلك الآن بسبب توفر الميكروفلم . وليس أدل على الشهرة التي وصلت إليها هذه المجموعة ، من أن البعثة المصرية والتي ترأسها عبد الله فكري باشا ( ١٨٣٤ ــ ١٨٨٩ ) والتي جاءت للاشتراك في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في ستوكهولم وكريستيانيا ( اوسلو ) وأثناء تجولها في باريس والسويد قد عرجت على ليدن بتاريخ ٢٥ أغسطس عام ١٨٨٩ فكانت أول رغبات أعضائها مشاهدة مكتبة ليدن .

وفي القرن التاسع عشر ابتدأ ر. ب. ا. دوزي ( ١٨٢٠ ــ ١٨٨٣ ) بنشر فهرس جديد والذي كان يهدف أصلاً إلى فهرسة جميع المخطوطات الشرقية ، ولكنه في الحقيقة بقي مقتصراً على المخطوطات الشرق ــ أوسطية . أما المخطوطات الأندونيسية والتي تشكل مركز ثقل آخر في مجموعة الاستشراق الليدنية فقد تمّ وصفها لاحقاً في فهارس منفردة .

وقد تابع ده خويه ( ١٨٣٦ ــ ١٩٠٩ ) عمل معلمه دوزي وكذلك فعل م. ث. هاوتسما ( توفي ١٩٤٣ ) . فبدأ ده خويه بتنقيح فهرس المجموعة العربية فقط ولكن هذا المشروع بقي دون اكمال . وكانت وما تزال فهارس ده خويه ودوزي والتي كتبت باللاتينية من أكثر المصادر المزودة بالمعلومات حول المجموعة القديمة . ولم يستمر القيّمون على هذه المجموعة من أمثال خ. فان فلوتن ( ١٨٦٦ ــ ١٩٠٢ ) و س . فان أريندونك ( ١٨٨١ ــ ١٩٤٦ ) بنشر هذا الفهرس . وبفضل ب . فورهوفه الذي ولد عام ( ١٨٩٩ ) والذي شغل بشكل متقطع منصب أمين المخطوطات الشرقية منذ ( ١٩٤٦ ) وحتى ( ١٩٥٩ ) ، تمّ إيضاح المجموعة العربية بشكل مختصر ولكن قابل للاستعمال . وفي عام ( ١٩٥٧ ) أعدّ ونشر لائحة المخطوطات العربية والتي أعيدت طباعتها فوتوغرافياً سنة ( ١٩٨٠ ) . وقد تمّ اكمال الفهارس اللاتينية في المراجع البيبليوغرافية في أعمال كلّ من بروكلمان وسزكين ، ولكن على نطاق أقل اتّساعاً من عمل فان خراف وذلك لأن المواد المسيحية ــ العربية في جامعة ليدن كانت دائماً متوفرة ولكن بشكل مقتصر . إن الاستعمال السنوي والمتزايدلمجموعات المخطوطات العربية ما كان ممكناً لولا **لائحة** فورهوفه .

ومنذ ( ١٩٨٢ ) فإن مكتبة ليدن تقوم سنوياً بنشر فهرس بما لديها من المجموعات العربية . وهناك تزايد مستمر ولكن بشكل متواضع . والآن تحتوي مجموعة ليدن الشرق ـــ أوسطية على ما يقارب الخمسة آلاف كتاب . والتي بضمنها أكثر من أربعة آلاف مخطوطة عربية . وقد اضافت مكتبة ليدن إلى مجموعتها ما يقرب الألف وثلاث مئة مخطوطة عربية وذلك منذ نشر فورهوفه **لائحته** سنة ( ١٩٥٧ ) . ومن بين المجموعات الأصغر والتي انتهى بها المطاف إلى ليدن خلال العقود الماضية علينا ألاّ ننسى المجموعات الخاصة لكل من رينيه باسيت وفرانز تيشنر .

وهناك مجموعة ليدن من المطبوعات الشرقية والتي هي أقل إثارة ولكن من أجل دراسة المخطوطات لا يمكن الاستغناء عنها . ولكن ليس بالإمكان دراسة المخطوطات دون وجود مجموعة موسعة متخصصة من النصوص المطبوعة . وقد حاولت مكتبة ليدن وبقدر الإمكان ، المحافظة على مستوى مجموعاتها المطبوعة وذلك عبر أربع قرون تواجدها . فالكتب والدراسات الأدبية القديمة المطبوعة ما زالت متوفرة وبشكل كامل وكذلك الحال بالنسبة لكتاب « وصف مصر » مثلاً والمتوفر حتّى بطبعتين . أما في مجال تقارير الرحالة في الشرق الأوسط فإن مجموعة المكتبة منها ، أقل جودة . ويعود ذلك إلى أن الأساتذة كانوا قد أولوا جلّ اهتمامهم للنصوص العلمية . ومع هذا فإن الكتب الكلاسيكية مثل رحلات رحّالة القرن السابع عشر كورنيليس ده براون ( اللوحات ١٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ) والغنية بالرسوم التوضيحية وكذلك تقرير كارستن نيبور ، رحالة وعلامة القرن الثامن عشر متوفرة في هذه المجموعة . أن تزايد المنشورات وخصوصاً في الدول الأوروبية إلى جانب تردّي الوضع الاقتصادي في أوروبا قد جعلا استمرار التزود بالكتب خلال السنوات الأخيرة من الأمور الصعبة . وبالرغم من كل هذا فقد حاولت المكتبة أن تأخذ على عاتقها مسئولية التزويد على مستوى البلاد في مجالات اللغة ، الآداب ، التاريخ ، الجغرافيا وتاريخ الأديان في الشرق الأوسط .

إن كلمة واحدة عن الأعداد النسبية المطلقة هي هنا في موضعها . فإذا أردنا أن نتحدث عن المخطوطات والكتب العربية في هولندا ، فلابد أن تأخذ ليدن مكان الصدارة في هذا الأمر . وبالرغم من ذلك فإن بعض المكتبات والمؤسسات في الجامعات الهولندية الأخرى تمتلك مخطوطات شرق ـــ أوسطية . والأمر يتعلق هنا بما يقارب ( ١٠٪ ) من المجموع العام للمواد المتواجدة في هولندا . وأحد هذه المجموعات الهولندية التي تضم كنوزاً من المخطوطات حول الشرق الأوسط وغير الموجودة على شكل كتاب والتي علينا ألّا نتركها دون أن نأتي على ذكرها ، هي أرشيف الدولة العام في لاهاي . فهناك حفظت المراسلات العديدة واراشيف الدبلوماسيين الهولنديين والمراكز التجارية في الخارج . فقد كان للأماكن المتواجدة على سواحل البحر المتوسط أهمية كبيرة بالنسبة لشركة الهند الشرقية وذلك في القرنين السابع والثامن عشر وذلك بسبب تجارتها مع المشرق وبسبب الطرق التجارية عبر المحيط الهندي والخليج . ويحتوي هذا الأرشيف على كميات هائلة محافظ عليها من رسائل عقود واتفاقيات ومعاهدات بالعربية . ولا يمكننا أن نعتبر البدء في كشف مضامين هذه المواد قد بدأ بشكل فعلي . في فهرس دوزي وده خويه جاء وصف للمجموعات غير الليدنية عدا المجموعات الموجودة في أرشيف الدولة العام . إن التزايد المستمر لمجموعة المخطوطات الشرق ـــ الأوسطية وما يتبع ذلك من الحاجة إلى كتب توضيحية ، لم يجد صداه حتى الآن إلّا في ليدن .

لقد قدر قبل بضعة أعوام المجموع العام للمخطوطات العربية الموزعة في جميع أنحاء العالم بثلاثة ملايين مخطوطة . ومعظم هذه المخطوطات محفوظ في المكتبات العلمية الكبيرة . ويبدو من الكشف السريع والمتزايد



١٤ — « حلب » . حفر على النحاس (١٠٥ × ٦١ سم ) . من رحلات كورنيليس ده براون ، عبر أشهر أجزاء آسيا الصغرى وجزر سكيو ، رودس ، قبرص ، ميتيلينو ، ستانكيو ... إلخ . كذلك المدن المهمة في كل من مصر ، سوريا وفلسطين . ( دلفت ، ١٦٩٨ ) . مكتبة ليدن الجامعية .

عن الميراث من أن العدد في ازدياد . ومن الممكن أن تشكل مجموعة ليدن ما نسبته ( ١٪ ) مما هو موجود في جميع أنحاء العالم . ولكن وعلى امتداد السنين فقد تم انتقاؤها بحيث تتعدى أهميتها نسبة الـ ( ١٪ ) هذه . ولقد وصفت مجموعة ليدن بشكل لائق في عدة فهارس وذلك خلال عدد من القرون . وهذا مما يغير الصورة ويجعل هذه المجموعة تحتل مركز الصدارة في تاريخ الآداب أكثر مما يمكن توقعه على أُسس احصائية .

ويمكننا أن نتوقع الكثير من الاكتشافات الجديدة في مجال المخطوطات وذلك في مكتبات الشرق الأوسط غير المبوبة والمفهرسة بشكل جيد . كما وأننا يجب أن لا نقلل من أهمية ما اكتشف وما زال يكتشف في المجموعات الأوروبية القديمة .

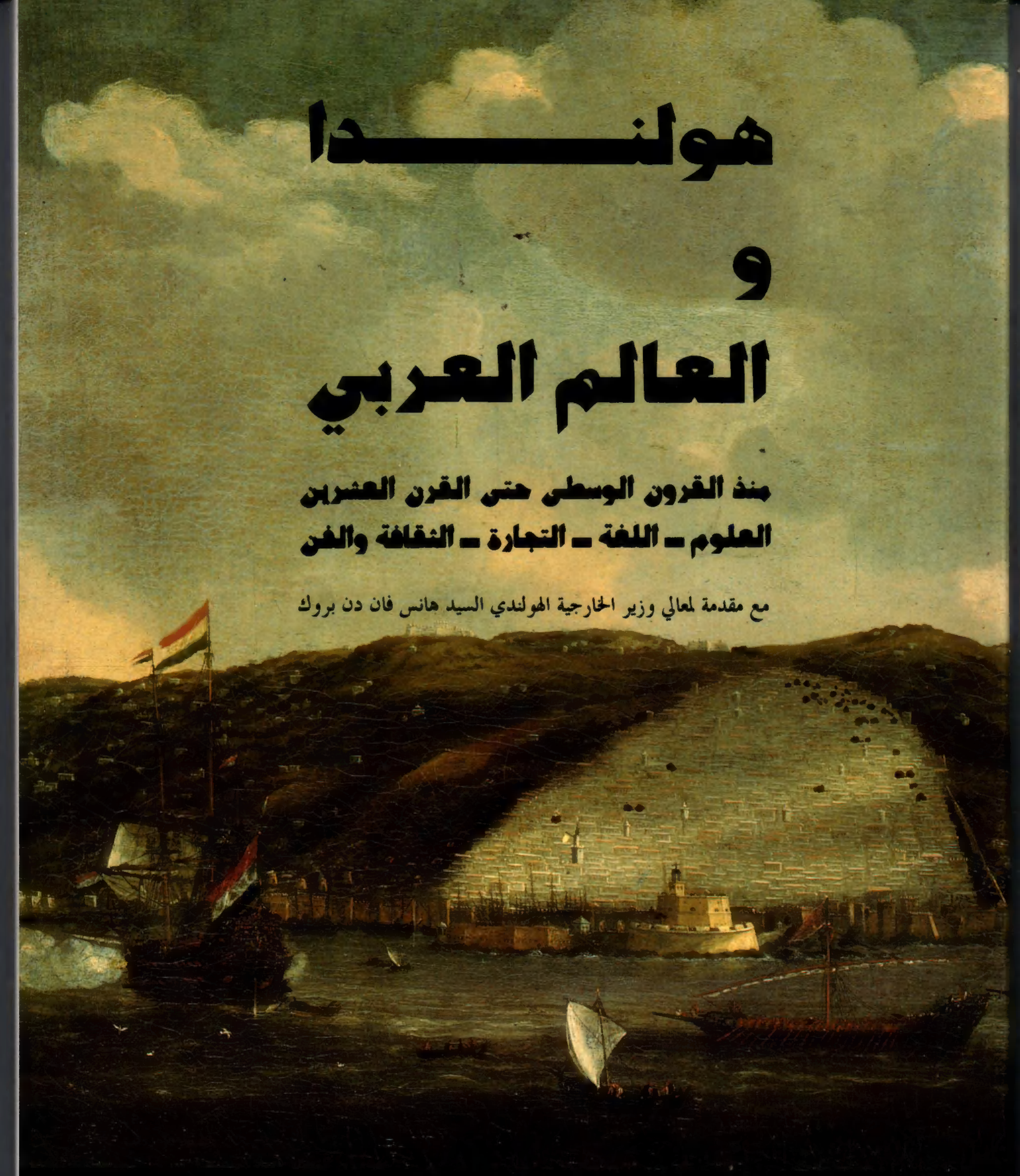
إن مراكز القوى السياسية التقليدية مثل القسطنطينية والقاهرة وطهران ، ما زالت تحتوي مكتباتها العامة كالخاصة على كميات هائلة من المخطوطات غير المعروفة في عالم المثقفين . ولقد بدأت المراكز السياسية الجديدة في الكويت والرياض ببطء ولكن بثقة بانشاء مكتبات متخصصة بالمخطوطات . وكذلك الأمر



بالنسبة للمناطق البعيدة جغرافياً عن مركز العالم العربي والإسلامي مثل المغرب واليمن والهند والتي ما زالت تحتوي حتى أيامنا هذه على كميات هائلة من مجموعات المخطوطات التي لم تبحث بعد . ويمكن للمكتبات الصغيرة والموزعة في جميع أنحاء الشرق الأوسط أن تزودنا بالمفاجآت .

ويلاحظ في السنوات الأخيرة اهتمام الدول العربية المتزايد في المحافظة على هذه المجموعات ودراستها . فقد أقيم في الكويت معهد للمخطوطات العربية تحت اشراف جامعة الدول العربية وتنسيقها وارشادها مع توفير قاعة للمطالعة ومركز للاستعلامات وامكانية لنشر مجلة ونشرة اخبارية . وقد قام المركز بإرسال عدد من البعثات وذلك على مدى سنوات إلى المكتبات التي من الصعب دخولها وذلك من أجل عمل ميكرو أفلام . وبهذا أُنشيء واحد من أهم مراكز مجموعات المخطوطات الميكروفيلمية .

وفي مجال هذه النشاطات وانطلاقاً من فكرة كون هذا الميراث من الأهمية بمكان للإنسانية جمعاء . فإن مكتبة ليدن الجامعية قد لعبت دورها المتواضع والذي تريد أن تبقى محتفظة به .



# هولندا و العالم العربي

## منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين
## العلوم - اللغة - التجارة - الثقافة والفن

مع مقدمة لمعالي وزير الخارجية الهولندي السيد هانس فان دن بروك


بقلم : الدكتور نيقولاوس فان دام ( التحرير )
البروفيسور الدكتور يان بروخمان
الأستاذ كورنيلس خ. براور
الدكتور الكسندر هـ. ده خروت
الدكتور بن ي. سلوت
الأستاذ يان يوست فيتكام

# هولنــــدا
# والعالـم العربي

## منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين

## العلوم ، اللغة ، التجارة ، الثقافة والفن


الدكتـــور نيقولاوس فان دام ( التحرير ) .

البروفيسور الدكتور يان بروخمان .

الاستـــاذ كورنيلس خ . براور .

الدكتـــور الكسندر هـ. ده خروت .

الدكتـــور بن ي. سلوت .

الاستـــاذ يان يوست فيتكام .

# المحتويـــات



**لوحة الغلاف** : ( منظر للجزائر وسفينة أمير البحر الهولندي ده رايتر « الحب » ) ، (١٦٦٢) ، من عمل رينير نومس المدعو ب ــ زيمان (١٦٢٣ــ١٦٦٧/٨) . صورة زيتية على قماش (٦٣×١١٠ سم) . متحف الدولة في امستردام